



لأوافق إخواننا الخطباء والوعاظ من الذين اعتادوا جلد المسلمين على تقصيرهم في العبادة، فنحن باختصار في مجتمع لا تنقصه العبادة، فمساجدنا والحمد لله عامرة بالمصلين، وهناك مطاولة ومصايرة في صلاة التراويح والقيام، بل والسعى لمن يطيل في القراءة أكثر من غيره، حتى إنك تجد زحمة شديدة في مواقف السيارات حيثما سمعت بقارئ معروف يصلّي في هذا المسجد أو ذاك، وهذه الظاهرة موجودة في أغلب بلداننا الإسلامية وإن كانت بنسبة متفاوتة ومظاهر مختلفة، مع أن التراويح والقيام هي من السنن والنوازل التي يتقرب بها الناس إلى الله على سبيل التطوع وازيداد الخير وليس على سبيل الإلزام، فالآمة إذاً بخير أيها المشايخ الفضلاء، فلا توسعوا في لومها وتقرّيعها.

الأمة اليوم لا تعاني من نقص في (التعبد) وإنما تعاني من نقص في التعليم و (التفقه)، والسلوك اليومي الذي نشاهده ينطق بهذه الحقيقة، داخل المساجد وخارجها.

في الأسبوع الماضي صلى بجني شاب مثقل بالمرض، وقد ملأ المكان بعطاسه وسعاله، حتى اختلط صوته بصوت الإمام، إنه تعلم أن يستكثر من الحسنات في رمضان، وأن يصبر نفسه على الطاعة مهما كان مرضه، لكنه لم يتعلم أن أذية المسلمين حرام، وأنه بحالته هذه معدور من جماعة الفرض فضلاً عن جماعة التراويح.

الأغرب من هذا أن تعرض علينا حالات في الصوم متعلقة بصحة الصائم فنتصل بمن نثق به من الإخوة الأطباء فيجيبنا بعضهم (أن الله لم يشرع شيئاً فيه ضرر)، وأن (الصوم صحة)، وأن (الأجر على قدر المشقة)، فأقول له: يا أخي هذه المعاузات اتركوها لنا، خبرونا بما عندكم من الطب، حتى قلت لأحدهم ما زحما: إن سؤالي ليس عن شخص صائم وإنما عن شخص مضرب عن الطعام والشراب، لأن الدين الذي عند الطبيب في بعض الأحيان يجعله يتتردد في قول المعلومة الطبية خوفاً وورعاً أن تؤثر على الصوم، وهو لا يعلم أن الصوم المضر بالصحة إثم، وأن الطبيب قد يكون شريكاً في هذا الإثم وهو لا يعلم!

في مكان آخر يشكو أحد العمال من تأخير رواتبه، وأنا أعرف رب العمل صائماً قائماً منفقاً، فأتعجب، ومرةً كنا في مجلس مفتوح فكنت أحدهم عن الذنب غير المنظورة، تلك التي لا يفطن لها من يرتكبها، وبالتالي لا يتوب منها، ومثلت لها بهذه الحالة، فالراتب يستحقه العامل نهاية الشهر أو بحسب الاتفاق، فإن تأخر عنه بلا إذن منه فقد اختلط ماله بمالك ولو ليوم واحد، فكأنك صرت تعمل في مالك ومالي معاً، لا على وجه الدين ولا على وجه الشراكة، وهذا إثم ولو كان مثقال ذرة (فمن

يعلم مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فرأيت اندهاشاً ثم تفاصلاً طيباً، مما يدل أن هضم حقوق الآخرين في كثير من الأحيان ليس بسبب قلة الأمانة ولا ضعف التدين، بل لقلة التفقه، وقد ذكرني هذا الموقف بمقوله لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما كان يقول: (لا يبيع في سوقنا إلا من يفقهه وإن أكل الربا شاء أم أبي).

ومرّة اتصلت بي امرأة سمعت من زوجها لفظة الطلاق فتريد أن تترك بيتها ظناً منها أن بقاءها معه في البيت محرّم، فاندھشت حينما قلت لها: إن البيت بيتك، وإن زوجك إذا كان لا يريده أن يراك فليخرج هو، فالله يقول في مثل حالتك: (يا أيها النبي إذا طلقت النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه)، فهل هناك تهديد للزوج أشد من هذا التهديد؟ لكن هذا الزوج الظالم لنفسه والمتعدّ لحدود الله قد يكون في الصفة الأولى لصلة القيام أو التراويف، وهو يؤمّن مع الإمام أن يغفر له الله ويرزقه الجنة، وهو لا يدرى أنه لو قطع صلاته وذهب يؤدي حق زوجته لكان أقرب إلى المغفرة وإلى الجنة.

وقد رأيت رجالاً حافظاً للقرآن يمنع زوجته من الدخول إلى بيتها لأنّه ينوي طلاقها! وفي بيتها كل ما تملك حتى جواز سفرها وبطاقتها الشخصية!

أخطر من كل هذا حينما تراهم يخوضون في الشأن العام و (السياسات الشرعية)، فترى هذا الصفة الموحد في المسجد قد أصبح شذر مذر في كل مسألة تطرح عليه، وكأنه لم يكن يسمع قرآناً واحداً، حتى يصل الخلاف إلى الثواب والمسالمات، فيسوغ للظالم الظلم وللقاتل القتل وللغادر الغدر بقواعد سمعها ساماً وينصوص لا يعرف معناها ولا مغزاها، وقد قال أحدهم: لماذا تعيبون على داعش الذبح ورسول الله يقول: جئتم بالذبح؟ فقلت له: متى قال رسول الله ذلك؟ قال: في مكة، قلت ومتى أذن للمسلمين بالقتال؟ قال: في المدينة! قلت كيف يشرع الذبح وهو لم يؤذن له بالقتال أصلاً؟

إن هذه الفوضى (الدينية) قد تولدت نتيجة للجهل العام، ثم بإدخال الدين في دائرة (حرية التعبير) و (الرأي والرأي الآخر)، فالأخ لا يفرق بين الفتوى الدينية التي يستشهد لها بالآيات والأحاديث وقواعد الشرع، وبين الرأي الشخصي.

لقد كان بإمكان (الدروس الرمضانية) أن تعالج جانباً من هذه الفوضى، وأن تسهم برفع مستوى الوعي العام، وحل المشكلات المختلفة في التصورات وال العلاقات والمعاملات، لكنها هي الأخرى جنحت نحو (التعبد) بعيداً عن (التفقهي) فساهمت في توسيع الفجوة بين سلوك المصلّين في المساجد وسلوكهم خارج المساجد!

العرب القطرية

المصادر: